# العروة الوثقى

بسم الله الرحمن الرحيم

# العروة الوثقى

تأليف

محمد سعيد غيبة

دار المكتبي

الطبعة الأولى
1431هـ - 2010 م

**جميع الحقوق محفوظة**

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب 31426 هاتف 2248433 فاكس 2248432
e-mail: almaktabi@mail.sy

# تمهيـــد

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

فالذي أكرم الإنسان بداية إذ خلقه ليسعده ويؤهله إلى مقعد صدق عند مليك مقتدر في دار السلام ، سخر له ما في السماوات والأرض جميعاً منه وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة ، وزين له السماوات بالكواكب ، والدنيا بما عليها ، وزين له حياته بالزوجة والأولاد واللباس والمركوب والأهل والأصحاب ليتمتع ، تودداً له ، وجعل سعادته في رضا ربه عنه عند إسعاده الآخرين ، كصلة الأرحام وعيادة المرضى وإكرام الضيف ومشاركة الآخرين في أفراحهم وأتراحهم ومعونة المحتاجين وإزالة البؤس عن الأرملة واليتيم ، جعل كل هذا سعادة له وقربة إلى ربه.

ـ ومن طرف آخر سمح للشيطان أن يزين للإنسان سوء أعماله التي تخالف فطرته وتجعله يلهث لاقتناص الفواحش وقطع أواصر المحبة في المجتمع ، وإفساد العلاقات الاجتماعية والتعدي على الآخرين وترويعهم والنيل من أعراضهم ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الحج: ٣ـ٤]. وجعل هذا القدر من الإضلال يعطيه مناعة إذا استخدم عقله وتمسك بفطرته.

ـ وإتماماً للنعمة وجّه الخالق لعباده خطاباً إيمانياً عن طريق رسله لكي لا يكون للشيطان سلطانٌ عليهم ، وليكون هذا الخطاب منهاجاً للحياة وسبيلاً للسعادة لمن تمسك به فلا يتعثر ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣] ، ومن أعرض عنه فإن له معيشة ضنكاً.

﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [البقرة: ٢١٣].

- فمن سلمت طويته وطابت فطرته وزان بعقله ونظر لما سبق من نعم الله عليه وتودده له، فقبل الخطاب وانضم إلى الرسل فأدخله الله في مجموعة الهداية ليوصله إلى دار السلام المعد له، فالهداية لها بداية وليس لها نهاية، إنها مقامات ودرجات وقد يتعثر السالك فيها بسبب ما، فيحتاج إلى العناية.

- ومن طمست فطرته وفسد مزاجه وانقلبت الصورة لديه فصار الخطأ عنده سداداً والفساد صلاحاً، فلم يستوعب أن يرسل خالق الكون له رسولاً بشراً فإما أنه استصغر هذا البشر لما في نفسه من استكبار، فقال: ﴿ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء: ٩٤]، أو أنه وجد نفسه قادراً أن يكون مثله، فقال: ﴿ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [الأنعام: ٦]، أو وجد أن سلطانه وهيبته في مجتمعه ستزول، فقال: ﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥٢].

وهكذا عطّل إنسانيته في البحث والتدبر، ونظر إلى ظاهر الأمر، وقاس الأمور بميزان مصلحته ومصلحة مجتمعه، وتحدى إذ قال: ﴿ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢].

من رحمة الله بهؤلاء المرضى يدخلهم في مصحّ العناية ليخلصهم من أمراضهم التي أفسدت مزاجهم وأقست قلوبهم. يداويهم ربنا بلطفه وحكمته ورحمته ليخلصهم مما هم فيه ويعيدهم لإنسانيتهم، فالأدوية شتى، منها المستساغ ومنها العلقم ومنها الإضلال والغواية والسماح للشيطان بأزِّهم نحو الشهوات، كل ذلك من أجل: ﴿ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ﴾ [محمد: ٣٧].

وهو بأسمائه الحسنى يزيد أو ينقص أو يشدد في الجرعات حسب

ما يناسب الاستكبار والعلو، أو الحال الذي يتبدل كل لمحة أو طرفة عين ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣] في محاولاته.

كل ذلك بما لا يمس حرية الاختيار التي أكرم الله بها عباده، حتى يكون اختيار العبد للإيمان بمحض اختياره، وإلا ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [هود: ١١٨]، ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٦].

فإذا ما طابت النفس بالعلاج نقله الله تعالى إلى دور الهداية، وكان الله أفرح بتوبة عبده من الظمآن الوارد والعقيم الوالد والضال الواجد؛ رحمة بعبده.

وفي أدوار الهداية يتابع الابتلاءات معه ليوصله إلى ما له من مقام في دار السلام، وقد ينتقل العبد من العناية إلى الهداية أو بالعكس ما دام هو على قيد الحياة مرات ومرات.

ومن إكرام ربنا للعباد: أن الهداية والعناية ليستا منفصلتين في الحياة، فلا يميزها إلا الهادي والحكيم.

لذا يخاطب ربنا عباده: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ١٠٤] تارة، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [الحج: ١] تارة أخرى. ومن شعر أن الخطاب موجه له هو الذي يعرف مكانته في الهداية والعناية. فإلى الخطاب الإيماني، وإلى بعض النذر من علاجات ربنا في العناية وابتلائه في أطوار الهداية.

* * *

# العـروة الوثقـى

﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]

﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ [المؤمنون: ٥٢]

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣]

ـ هناك ارتباط كامل بين عقيدة الأمة وسلوكها ، فالعقيدة المادية ولو كانت بطابع تقني عالي إلا أنها تكرس التسلط والاحتقار والاعتداء بالإضافة إلى الخرافات والشعوذة وتضيع فيها كرامة الفرد.

أما العقيدة الصادرة عن خالق الكون والإنسان التي حملها أنبياءٌ ورسلٌ اختارهم رب العالمين ، عقيدة تربط الإنسان والكون بربه فتحقق له إنسانيته ، عقيدة لا صراع فيها بين المخلوقات أجمع ، بل الكل يعمل لهدف واحد بالتعاون لأجل أن يحقق الإنسان عبوديته لربه خالقه ، مستفيدين من تسخير كل ما في الكون لهذا. هذه العقيدة التي حملها الأنبياء على مر العصور صافية ناصعة ، ترياق المجتمعات ، ويعاونهم أتباعهم ومن سار على نهجهم.

وكلما انحرفت ظهر أثرها فساداً في سلوك المجتمعات ، فيأتي المجدد والمصلح من الأنبياء فيعيد لها صفاءها ورونقها ويعيد للمجتمع عافيته.

إنها الضابط لصحة وسلامة المجتمعات بنسب تطبيقها أو انحرافها واستقامة المقاييس ، وكان للمسلمين دور الريادة في حملها ، فكانت رحمة للعالمين (بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك).

فالحمد لله على استخلاف الصالحين لحمل هذه العقيدة لحاجة الإنسانية إليها ، ولأنها ذروة الكمال في تحقيق أهداف الإنسانية في الحرية والعدل والسعادة.

* * *